الفصل الثالث عشر

إسكندنافيا وفنلندا

شبه جزيرة البلطيق وأهميتها العسكرية

oberkandl.com

obeikandl.com

يقول تشرشل :

إن لشبه الجزيرة الممتدة من داخل البلطيق إلى الدائرة القطبية أهمية عسكرية كبيرة ، وتمتد سلسلة الجبال إلى المحيط ويفصل بينها ممر من المياه الإقليمية تتمكن ألمانيا بواسطته من المرور والاتصال بالبحار الخارجية ، مما يجعل حصارنا البحري لا قيمة له ، وكانت ألمانيا تعتمد بصورة رئيسية على استيراد مسحوق الحديد من السويد الذي يصلها في أيام الصيف من ميناء لوليا السويدي عند رأس خليج بوثنيا ، أما في الشتاء وعندما تتجمد مياه الخليج تصلها من النرويج ، لذلك فإن احترامنا لحياد هذه الخلجان يعني سماحنا لهذا الاستيراد والتصدير الذي تستغله ألمانيا تحت ستار الحياد متحدية بذلك تفوقنا البحري ، وقد شعرت الأميرالية بهذا الخطر ، وأخطرت بدوري وزارة الحرب عن هذا الموضوع .

وعندما أثرت هذا الموضوع الهام اصطدمنا بعقبة احترامنا التام لحياد الدول الصغيرة ! هذا المبدأ الذي كنا نتعلق به بالرغم من استغلال ألمانيا لهذا الاحترام ، ولبث الموضوع بين أخذ ورد إلى أن أخذت الوزارة باقتراحي بعد مدة طويلة حيث بدا أن الوقت قد فات على اتخاذ مثل هذا القرار.

وفي نفس الوقت كان الألمان يفكرون بنفس الاتجاه الذي كنت أفكر به، فقد قدم الأميرال ريدر ، رئيس أركان البحرية الألمانية ، اقتراحًا إلى هتلر باسم «كسب قواعد جديدة في النرويج» وقد وضح في اقتراحه مقدار الضرر الذي سيلحق بألمانيا بحال تم احتلال البريطانيين للنرويج وتحكمهم في مداخل البلطيق ، وقد أصدر هتلر بناء على اقتراحات ريدر أوامره إلى القيادة العليا بإعداد الخطة لعملية غزو النرويج .

وفي هذه الأثناء تحولت شبه جزيرة إسكندنافيا إلى ميدان للصراع أثار ضجة كبيرة في بريطانيا وفرنسا ، وأثر على محادثاتنا مع النرويج بشدة ، فقد أدت مواثيق المساعدات المتبادلة المعقودة بين روسيا وأستونيا ولاتفيا وليتوانيا إلى احتلال هذه الدول وتدميرها . وبذلك أصبح الجيش الأحمر يقطع الطريق للدخول إلى روسيا من ناحية الغرب ، وبقيت الطريق عبر فنلندا .

ومن ناحية فنلندا فقد وقع أحد الساسة الفنلنديين مع روسيا معاهدة صلح في عام ١٩٢١، كان من أهم مطالب الروس العديدة رد الحدود الفنلندية عند برزخ كاريليا إلى الوراء مسافة كافية لتصبح مدينة لينغراد في مأمن من خط المدفعية المعادية، كما تسلمت روسيا عددًا من الجزر الفنلندية، أما الاختلاف الذي أدى إلى محاولة غزو فنلندا فكان حين طلبت روسيا استئجار الموانئ الوحيدة التي لا تتجمد في فصل الشتاء كي تجعل منها قواعد بحرية وجوية، وكان الرضوخ لهذا الطلب يعني تهديد سلامة فنلندا بصورة أكيدة، وقد رفضت الحكومة الفنلندية هذا الطلب وانقطعت المفاوضات، وأعلن مولوتوف بناء على ذلك إلغاء ميثاق عدم الاعتداء المعقود مع فنلندا، وبعد يومين بدأ الهجوم الروسي على فنلندا على ثماني جبهات وقام الطيران السوفييتي بضرب العاصمة هلسنكي من الجو.

وقد استبسل الفنلنديون في الدفاع عن بلادهم، فقد مضت الأسابيع الأولى للهجوم السوفييتي دون أن يتمكنوا من تحقيق أي نصر، وبرهن الجيش الفنلندي عن بطولة نادرة في صد الهجوم الكبير، وقوبلت الدبابات السوفييتية الضخمة بسلاح جديد من القنابل اليدوية التي سميت بكوكتيل مولوتوف، وقد استمرت الحملة حوالي الشهر إلا أنها باءت بالفشل الذريع، وتأكد للحكومة السوفييتية بأنها تقابل عدوًا يختلف بقوته عما كانت تتوقعه أن يكون، لذلك قررت القيام بهجوم كاسح كبير مما يحتاج إلى إعادة تنظيم، فخففت من حدة القتال على طول الجبهة الفنلندية بعد أن تمكن الفنلنديون من صد عدوهم القوي.

وساد شعور من السخط لدى الجميع ضد الحكومة السوفييتية، بالإضافة إلى الشعور بالاحتقار لعجز القوات الروسية عن غزو فنلندا الباسلة، وبالعطف والحماس على فنلندا بالذات، وبالرغم من أننا نخوض حربًا كبرى فقد كانت لدينا رغبة شديدة في مد يد العون إلى الفنلنديين وذلك بتزويدهم بالطائرات والآليات الحربية وإرسال المتطوعين من بريطانيا والولايات المتحدة وحتى فرنسا، ولم يكن هناك إلا ممر واحد لإرسال المتطوعين والمعدات الحربية، وهو عبر ميناء نارفيك النرويجي الذي اكتسب أهمية إستراتيجية كبرى، وكان استعمال هذا الميناء كقاعدة للتموين يؤثر على حياد النرويج والسويد، وكان همُّ هاتين الدولتين البقاءَ خارج نطاق الحرب، فقد كانتا تخشيان كلا من ألمانيا وروسيا، وطلبت

الحكومة البريطانية من النرويج والسويد السماح لها بنقل الجنود والمؤن إلى فنلندا .

* * *

كانت إحدى القطع البحرية الألمانية المسماة «إلتلمارك» تشغل تفكيري ، وهي القطعة البحرية التي كانت تساعد غراف شبي بالإضافة إلى كونها سجنًا عائمًا لبحارة البواخر التي كانت غراف شبي تغرقها ، وقد وصلتنا ـ الأخبار أن هناك ثلاثمائة بحار بريطاني على ظهر (إلتلمارك) التي تمكنت من الاختفاء لمدة شهرين في جنوب الأطلنطي وعندما اطمأن ربانها إلى أنه أصبح في مأمن من مطاردتنا ، حاول العودة بباخرته إلى ألمانيا ، وفي الرابع عشر من شهر شباط شاهدت إحدى طائراتنا الباخرة المذكورة في المياه الإقليمية للنرويج .

وفي الحال تحركت المدمرات البريطانية بقيادة القبطان فيليب فيان على متن مدمرته «قوزاق» وقطعت طريق الباخرة الألمانية ، إلا أنها لم تباشر بضربها فالتجأت الباخرة إلى خليج جوسينغ ، وأعطيت الأوامر بتفتيش الباخرة ، وشوهد في نفس الوقت زورقان نرويجيان مسلحان أبلغاهما أن الباخرة الألمانية غير مسلحة ، وقد سمحا لها بالمرور عبر المياه الإقليمية ، فاضطرت المدمرتان البريطانيتان إلى الانسحاب على الفور .

وما أن وصلت هذه الأخبار إلى الأميرالية ، حتى عادت وأصدرت إلى مدمراتنا الأوامر بدخول الخليج ، فدخل القبطان «فيان» بمدمرته الخليج وصعد إلى أحد الزورقين النرويجيين وطلب من قائده أن تساق «التمارك» إلى ميناء بيرغن للكشف عليها حسب القانون الدولي ، فكرر القائد النرويجي أن الباخرة غير مسلحة ، وقد فتشوها مرتين ولم يجدوا على متنها أي أسير بريطاني ، عند ذلك طلب القبطان «فيان» من القائد النرويجي مرافقته إلى ظهر الباخرة الألمانية فرفض هذا طلبه .

واغتنمت الباخرة الألمانية هذه الفرصة لتتحرك وتحاول الاصطدام بالمدمرة «قوزاق» إلا أنها فشلت ، وفي الحال صعد إليها فريق من البحارة ونشب قتال عنيف بالسلاح الأبيض بين رجال الباخرتين أدى إلى مقتل أربعة من الألمان وجرح خمسة واستسلم الباقون ، وبدأ البحث في الحال عن الأسرى البريطانيين ، وبعد تفتيش دقيق عثر عليهم في المستودعات

وفي خزان بترول فارغ ، وقد كممت أفواههم كي لا يتمكنوا من الاستغاثة وطلب النجدة من رفاقهم ، كما عثر على مدفعين وأربعة مدافع رشاشة ، وعلمنا فيما بعد أن النرويجيين لم يقوموا بتفتيشها بالرغم من صعودهم على متنها .

وكان هذا الحادث قد ساعد الألمان على اتخاذ قرارهم بوجوب غزو النرويج الذي أعد هتلر خطة غزوها في الرابع عشر من كانون الأول ، وبعد أن اجتمع الفوهرر مع الجنرال فون فولكنهورست تقرر بدء العملية في التاسع من شهر نيسان .

وفي هذه الأثناء كان الروس قد ضاعفوا من مجهودهم الحربي ، وقاموا بهجومهم الكبير على فنلندا في اليوم الأول من شهر شباط ، والذي استمر حوالي اثنين وأربعين يومًا ، يصحبه قصف جوي عنيف ، وتمكن الجنود الروس من اختراق خط الدفاع الفنلندي وتحطم خط مانرهايم وتركز الهجوم الروسي على خليج فيبوري .

وفي أول شهر آذار أرسلت الحكومة الفرنسية خمسين ألف متطوع ومائة قاذفة قنابل إلى فنلندا، كما قامت الحكومة البريطانية أيضًا بإرسال خمسين قاذفة قنابل ، إلا أن الفنلنديين قد وصلوا إلى حد من الأعياء والجهد وكادت معداتهم الحربية أن تنفد فسافر المستر باسيكيفي مرة ثانية إلى موسكو لإجراء المباحثات في شروط الهدنة ، ووافقت الحكومة الفنلندية على شروط الروس في الحال.

❖ ❖ ❖